.....

فجعلوا الأحبار أربابًا لأنهم يأتمرون بأمرهم في مخالفة أمر الله، فيطيعونهم في معصية الله.

وجعلوا الرهبان أربابًا باتخاذهم أولياء يعبدونهم من دون الله.

قوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: من غير الله.

قوله: ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: معطوف على أحبارهم؛ أي: اتخذوا المسيح ابن مريم أيضًا ربًّا حيث قالوا: إنه ثالث ثلاثة.

قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾؛ أي: يتذللوا بالطاعة لله وحده، الذي خلق المسيح والأحبار والرهبان والسماوات والأرض.

قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: لا معبود حق إلا هو.

قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيه لله عما يشركون. وجه كون هٰذه الآية تفسيرًا للتوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله: أن الله أنكر عليهم اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله، وهٰذه الآية سيأتي فيها ترجمة كاملة في كلام المؤلف رحمه الله؛ فهٰؤلاء جعلوا الأحبار شركاءَ في الطاعة، كلما أمروا بشيء أطاعوهم، سواء وافق أمر الله أم لا. إذًا؛ فتفسير التوحيد أيضًا بلا إله إلا الله يستلزم أن تكون طاعتك لله وحده، ولهٰذا على الرغم من تأكيد النبي ﷺ لطاعة ولاة الأمر؛ قال: «**إنما الطاعة في المعروف**»[1].

* * *

(١) من حديث علي، رواه: البخاري (كتاب المغازي، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، ٣/ ١٦٠)، ومسلم (كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، ٣/ ١٤٦٩).

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1]. الآية.

● **الآية الخامسة: قوله تعالى:** ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ...﴾ الآية.

قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾: من للتبعيض، وعلامتها أن يصح أن يحل محلها بعض، والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم، و﴿مَن يَتَّخِذُ﴾ مبتدأ مؤخر. أي من يجعل لله أندادًا ومفعولها الأول «أندادًا» مؤخرًا ومفعولها الثاني «من دون الله» مقدمًا.

وقوله: ﴿يَتَّخِذُ﴾: جاءت بالإفراد مراعاة للفظ «من».

وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالجمع مراعاة للمعنى.

وقوله: ﴿أَندَادًا﴾: جمع ند، وهو الشبيه والنظير، ولهٰذا قال النبي ﷺ لمن قال له ما شاء الله وشئت: «**أجعلتني لله ندًا؟! بل ما شاء الله وحده**»[2].

وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾: هٰذا وجه المشابهة؛ أي: النّديّة في المحبة يحبونهم كحب الله. واختلف المفسّرون في قوله: ﴿كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾:

فقيل: يجعلون محبة الأصنام مساوية لمحبة الله، فيكون في قلوبهم محبَّة لله ومحبَّة للأصنام، ويجعلون محبَّة الأصنام كمحبَّة الله؛ فيكون المصدر مضافًا إلى مفعوله. أي يحبون الأصنام كحبهم الله.

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٥.

(٢) سبق (ص٥٨).

.....

وقيل: يحبون هٰذه الأصنام محبة شديدة كمحبة المؤمنين لله.

وسياق هٰذه الآية يؤيِّد القول الأول.

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾: على الرأي الأول يكون معناها: والذين آمنوا أشدّ حبًا لله من هٰؤلاء لله؛ لأنَّ محبَّة المؤمنين خالصة، ومحبة هٰؤلاء فيها شرك بين الله وبين أصنامهم. وعلى الرأي الثاني معناها: والذين آمنوا أشد حبًا لله من هٰؤلاء لأصنامهم؛ لأن محبة المؤمنين ثابتة في السَّرَّاء والضراء على برهان صحيح، بخلاف المشركين؛ فإنَّ محبتهم لأصنامهم تتضاءل إذا مسَّهم الضر.

فما بالك برجل يحب غير الله أكثر من محبته لله؟! وما بالك برجل يحب غير الله ولا يحب الله؟! فهٰذا أقبح وأعظم، وهٰذا موجود في كثير من المنتسبين للإسلام اليوم؛ فإنَّهم يحبون أولياءهم أكثر مما يحبون الله، ولهٰذا لو قيل له: احلف بالله؛ حلف صادقًا أو كاذباً، أمَّا الوليّ؛ فلا يحلف به إلا صادقاً. وتجد كثيراً منهم يأتون إلى مكة والمدينة ويرون أنَّ زيارة قبر الرسول ﷺ أعظم من زيارة البيت؛ لأنَّهم يجدون في نفوسهم حبًا لرسول الله ﷺ كحبِّ الله أو أعظم، وهٰذا شرك؛ لأن الله يعلم أننا ما أحببنا رسول الله ﷺ إلا لحب الله، ولأنَّه رسول الله، ما أحببناه لأنَّه محمد بن عبد الله، لٰكننا أحببناه لأنَّه رسول الله ﷺ؛ فنحن نحبه بمحبة الله، لٰكن هٰؤلاء يجعلون محبة الله تابعة لمحبة الرسول ﷺ إن أحبوا الله.

فهٰذه الآية فيها محنة عظيمة لكثير من قلوب المسلمين اليوم الذين يجعلون غير الله مثل الله في المحبة، وفيه أناس أيضًا أشركوا بالله في محبة غيره، لا على وجه العبادة الشرعية؛ لٰكن على وجه العبادة المذكورة

.....

في الحديث[١]، وهي محبة الدرهم والدينار والخميصة والخميلة، يوجد أناس لو فتشت عن قلوبهم؛ لوجدت قلوبهم ملأى من محبة متاع الدنيا، وحتى هٰذا الذي جاء يصلي هو في المسجد لٰكن قلبه مشغول بما يحبه من أمور الدنيا.

فهٰذا نوع من أنواع العبادة في الحقيقة، ولو حاسب الإِنسان نفسه لماذا خُلِق لعلم أنه خلق لعبادة الله، وأيضًا خُلِقَ لدار أخرى ليست هٰذه الدار؛ فهٰذه الدار مجاز يجوز الإِنسان منها إلى الدار الأخرى، الدار التي خُلِقَ لها والتي يجب أن يعنى بالعمل لها، يا ليت شعري متى يومًا من الأيام فكّر الإِنسان ماذا عملت؟ وكم بقي لي في هٰذه الدنيا؟ وماذا كسبت؟ الأيام تمضي ولا أدري هل ازددت قربًا من الله أو بعدًا من الله؟ هل نحاسب أنفسنا عن هٰذا الأمر؟ فلا بدّ لكل إنسان عاقل من غاية؛ فما هي غايته؟ نحن الآن نطلب العلم للتقرّب إلى الله بطلبه، وإعلام أنفسنا، وإعلام غيرنا؛ فهل نحن كلما علمنا مسألة من المسائل طبقناها؟ نحن على كل حال نجد في أنفسنا قصورًا كثيرًا وتقصيرًا، وهل نحن إذ علمنا مسألة ندعو عباد الله إليها؟ هٰذا أمر يحتاج إلى محاسبة، ولذٰلك؛ فإن على طالب العلم مسؤولية ليست هيِّنة، عليه أكثر من زكاة المال؛ فيجب أن يعمل ويتحرَّك ويبث العلم والوعي في الأمة الإِسلامية، وإلاَّ انحرفت عن شرع الله. قال ابن القيم رحمه الله: كل الأمور تسير بالمحبة؛ فأنت مثلاً لا تتحرك لشيء إلا وأنت تحبه، حتى اللقمة من الطعام لا تأكلها إلا لمحبتك لها.

ولهٰذا قيل: إنَّ جميع الحركات مبناها على المحبة؛ فالمحبة أساس العمل، فالإِشراك في المحبة إشراك بالله.

---

(١) سبق (ص٣٥).

.....

* والمحبة أنواع:

الأول: المحبة لله، وهٰذه لا تنافي التوحيد، بل هي من كماله، فأوثق عرى الإيمان: الحب في الله، والبغض في الله. والمحبة لله هي أن تحب هٰذا الشيء؛ لأن الله يحبه، سواء كان شخصًا أو عملًا، وهٰذا من تمام التوحيد. قال مجنون ليلى:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ... ولٰكن حبّ من سكن الديارا

الثاني: المحبة الطبيعية التي لا يؤثرها المرء على محبة الله؛ فهٰذه لا تنافي محبة الله؛ كمحبة الزوجة، والولد، والمال، ولهٰذا لما سئل النبي ﷺ: من أحبّ الناس إليك؟ قال: «عائشة». قيل: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»[(١)]. ومن ذٰلك محبة الطعام والشراب واللباس.

الثالث: المحبة مع الله التي تنافي محبة الله، وهي أن تكون محبة غير الله كمحبة الله أو أكثر من محبة الله، بحيث إذا تعارضت محبة الله ومحبة غيره قدّم محبة غير الله، وذٰلك إذا جعل هذه المحبة ندًّا لمحبة الله يقدمها على محبة الله أو يساويها بها[(٢)].

الشاهد من هٰذه الآية: أنَّ الله جعل هٰؤلاء الذين ساووا محبة الله بمحبة غيره مشركين جاعلين لله أندادًا.

* * *

(١) من حديث عمرو بن العاص، رواه: البخاري (كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»، ٣/٩)، ومسلم (كتاب الفضائل، باب فضائل أبي بكر، ٤/١٨٥٦).

(٢) انظر: باب قول الله تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا﴾.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ**»(١).

قوله: «وفي الصحيح»: لم يفصح المؤلف رحمه الله بمراده بالصحيح؛ أهو «صحيح البخاري» أم «صحيح مسلم»، أم أن المراد به الحديث الصحيح؛ سواء كان في «الصحيحين» معًا أم في أحدهما أم في غيرهما، وليس له اصطلاح في ذلك يحمل عليه عند الإطلاق، وعلى هٰذا يبحث عن الحديث في مظانه، وقد ورد هذا التعبير في سياق المؤلف للحديث في مواضع أخرى، والمراد به هنا «**صحيح مسلم**».

قوله: ﷺ: «من قال لا إله إلا الله»: أي لا معبود حق إلا الله؛ فلفظ الجلالة بدل من الضمير المستتر في الخبر، ومن يرى أن «**لا**» تعمل في المعرفة يقولون: هو الخبر.

قوله: «وكفر بما يعبد من دون الله»: أي: بعبادة من يعبد من دون الله، قلنا ذٰلك؛ لأن عيسى بن مريم كان يعبد من دون الله، ونحن نؤمن به، لٰكن لا نؤمن بعبادته ولا بأنه مستحق للعبادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٧].

وفي قوله: «**وكفر بما يعبد من دون الله**»: دليل على أنّه لا يكفي مجرَّد التلفظ بلا إلٰه إلا الله، بل لا بد أن تكفر بعبادة من يُعبد من

---

(١) رواه: مسلم (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ١/ ٥٣).

وَشَرَحَ هٰذِهِ التَّرْجَمَةَ مَا بَعْدَهَا مِنَ الأَبْوَابِ.

● **فيهِ مَسائِلُ:**

فِيهِ أَكْبَرُ المَسَائِلِ وَأَهَمُّهَا، وَهِيَ **تَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ** .....

دون الله، بل وتكفر أيضًا بكل كفر، فمن يقول: لا إله إلا الله، ويرى أن النصارى واليهود اليوم على دين صحيح؛ فليس بمسلم، ومن يرى الأديان أفكارًا يختار منها ما يريد؛ فليس بمسلم، بل الأديان عقائد مفروضة من قبل الله ـ عز وجل ـ، يتمشى الناس عليها، ولهٰذا ينكر على بعض الناس في تعبيره بقوله: الفكر الإسلامي، بل الواجب أن يقال: الدين الإسلامي أو العقيدة الإسلامية، ولا بأس بقول المفكِّر الإسلامي؛ لأنَّه وصف للشخص نفسه لا للدين الذي هو عليه.

قوله: «وشرح هٰذه الترجمة»: المراد بالشرح هنا: التفصيل، والترجمة: هي التعبير بلغة عن لغة أخرى، ولٰكنَّها تطلق باصطلاح المؤلِّفين على العناوين والأبواب، فيقال: ترجم على كذا؛ أي: بوَّب له.

* * *

قوله: «فيه أكبر المسائل وأهمها، وهي تفسير التوحيد»: فتفسير التوحيد أنه لا بد فيه من أمرين:

الأول: نفي الألوهية سوى الله ـ عز وجل ـ.

الثاني: إثبات الألوهية لله وحده؛ فلا بد من النفي والإثبات لتحقيق التوحيد؛ لأن التوحيد جعل الشيء واحدًا بالعقيدة والعمل، وهٰذا لا بد فيه من النفي والإثبات.

فإذا قلت: زيد قائم؛ أثبتَّ له القيام ولم توحده، لٰكن إذا قلت: لا قائم إلا زيد؛ أثبت له القيام ووحدته به.

وَتَفْسِيرُ الشَّهَادَةِ، وَبيَّنها بِأُمُورٍ وَاضِحَةٍ.

مِنْهَا آيَةُ الإِسْرَاءِ: بَيَّنَ فِيها الرَّدَّ عَلَى المُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالِحِينَ؛ فَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ هٰذَا هُوَ الشِّرْكُ الأَكْبَرُ.

وإذا قلت: الله إلٰه أثبت له الألوهية، لٰكن لم تنفها عن غيره؛ فالتوحيد لم يتم. وإذا قلت لا إله إلا الله أثبت الألوهية لله ونفيتها عما سواه.

قوله: «**تفسير الشهادة**»: الشهادة: هي التعبير عما تيقنه الإنسان بقلبه؛ فقول: أشهد أن لا إلٰه إلا الله؛ أي: أنطق بلساني معبّرًا عما يكنه قلبي من اليقين، وهو أنه لا إلٰه إلا الله.

قوله: «**منها آية الإسراء**»: وهي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ...﴾ [الإسراء: ٥٧] الآية؛ فبيَّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، وبيَّن أن هٰذا هو الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء من العبادة، قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٤١]؛ فدلَّ على أنَّ الدعاء عبادة، لأن آخر الكلام تعليل لأوله، فكل من دعا أحدًا غير الله حيًّا أو ميّتًا؛ فهو مشرك شركًا أكبر. ودعاء المخلوق ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: جائز، وهو أن تدعو مخلوقًا بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة؛ فهٰذا ليس من دعاء العبادة، بل هو من الأمور الجائزة، قال ﷺ: «**وإذا دعاك فأجبه**»[1].

الثاني: أن تدعو مخلوقًا مطلقًا، سواء كان حيًّا أو ميّتًا فيما لا يقدر عليه إلاّ الله؛ فهٰذا شرك أكبر لأنك جعلته ندًّا لله فيما لا يقدر عليه إلا الله، مثل: يا فلان! اجعل ما في بطن امرأتي ذكرًا.

---

(١) من حديث أبي هريرة، رواه: مسلم (كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، ٤/ ١٧٠٤).

وَمِنْهَا آيَةُ بَرَآءَةٌ: بَيَّنَ فيها أَنَّ أَهْلَ الكِتَابِ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمَرُوا إِلاَّ بِأَنْ يَعْبُدُوا إِلٰهًا وَاحِدًا، مَعَ أَنَّ تَفْسِيرَهَا الَّذِي لا إِشْكَالَ فِيهِ طَاعَةُ العُلَمَاءِ وَالعُبَّادِ فِي المَعْصِيَةِ، لاَ دُعَاؤُهُمْ إِيَّاهُم.

وَمِنْهَا قَوْلُ الخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلاَمَ لِلْكُفَّارِ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾[1]. فَاسْتَثْنَى مِنَ المَعْبُودِينَ رَبَّهُ.

الثالث: أن تدعو مخلوقًا ميّتًا لا يجيب بالوسائل الحسيّة المعلومة؛ فهٰذا شرك أكبر أيضًا لأنه لا يدعو من كان هٰذه حاله حتى يعتقد أن له تصرفًا خفيًا في الكون.

قوله: «ومنها: آية بَرَآءَةٌ: بيّن فيها أنَّ أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله»: وهٰذا شرك الطاعة، وهو بتوحيد الربوبية ألصق من توحيد الألوهية؛ لأنَّ الحكم شرعيًا كان أو كونيًا إلى الله تعالى؛ فهو من تمام ربوبيته، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠].

والشيخ رحمه الله جعل شرك الطاعة من الأكبر، وهٰذا فيه تفصيل، وسيأتي إن شاء الله في باب من أطاع الأمراء والعلماء في تحليل ما حرَّم الله أو بالعكس.

قوله: «ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ فاستثنى من المعبودين ربه» فدل هٰذا على أن

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٢٦.

وَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ هٰذِهِ البَرَاءَةَ وَهٰذِهِ المُوَالاَةَ هِيَ تَفْسِيرُ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللَّـهُ، فَـقَـالَ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١).

وَمِنْهَا آيَةُ البَقَرَةِ فِي الكُفَّارِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٢). ذَكَر أَنَّهُم يُحِبُّونَ أَنْدَادَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ حُبًّا عَظِيمًا، وَلَمْ يُدْخِلْهُمْ في الإِسْلاَمِ؛ .....

التوحيد لا بد فيه من نفي وإثبات: البراءة مما سوى الله، وإخلاص العبادة لله وحده.

وذكر سبحانه أنَّ هٰذه البراءة وهٰذه الموالاة هي تفسير شهادة أن لا إلٰه إلا الله؛ فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وهي لا إلٰه إلا الله؛ فكان معنى قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هو معنى قول: لا إلٰه إلا الله.

قوله: «ومنها: آية البقرة في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾»: فجعل الله المحبة شركًا إذا أحبَّ شيئًا سوى الله كمحبته لله؛ فيكون مشركًا مع الله في المحبة، ولٰهذا يجب أن تكون محبة الله خالصةً لا يشاركه فيها أحد حتى محبة الرسول ﷺ، فلولا أنَّه رسول ما وجبت طاعته ولا محبته إلاّ كما نحب أي مؤمن، ولا يُمنع الإنسان من محبة غير الله، بل له أن يحب كل شيء تباح محبته؛ كالولد، والزوجة، ولٰكن لا يجعل ذٰلك كمحبة الله.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٦٧.

فَكَيْفَ بِمَنْ أَحَبَّ النِدَّ أَكْبَرَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ؟! وَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ يُحِبَّ إِلاَّ النِّدَّ وَحْدَهُ وَلَمْ يحِب اللَّهَ؟!

وَمِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ».

قال المؤلف: «**فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! وكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟!**».

فالأقسام أربعة:

الأول: أن يحب الله حبًا أشد من غيره؛ فهٰذا هو التوحيد.

الثاني: أن يحب غير الله كمحبة الله، وهٰذا شرك.

الثالث: أن يحب غير الله أشد حبًّا من الله، وهٰذا أعظم مما قبله.

الرابع: أن يحب غير الله وليس في قلبه محبة لله تعالى، وهٰذا أعظم وأطم.

والمحبة لها أسباب ومتعلقات، وتختلف باختلاف متعلقها، كما أن الفرح يختلف باختلاف متعلقه وأسبابه، فعندما يفرح بالطرب؛ فليس هٰذا كفرحه بذكر الله ونحوه.

حتى نوع المحبة يختلف، يحب والده ويحب ولده وبينهما فرق، ويحب الله ويحب ولده، ولٰكن بين المحبتين فرق. فجميع الأمور الباطنة في المحبة والفرح والحزن تختلف باختلاف متعلقها، وسيأتي إن شاء الله لهٰذا البحث مزيد تفصيل عند قول المؤلف: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾.

قوله: «ومنها: قول النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله...» إلخ:» إذًا؛ فلا بدّ من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قوله: «وكفر بما يعبد من دون الله»: أي: كفر بالأصنام، وأنكر أن

وَهٰذا مِنْ أَعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ)؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَجْعَلِ التَّلَفُّظَ بِهَا عَاصِمًا لِلدَّمِ وَالمَالِ، بَلْ وَلاَ مَعْرِفَةَ مَعْنَاهَا مَعَ لَفْظِهَا، بَلْ وَلاَ الإِقْرَارَ بِذٰلِكَ، بَلْ وَلاَ كَونَهُ لاَ يَدْعُو إِلاَّ اللَّهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، بَلْ لاَ يَحْرُمُ مَالُهُ وَدَمُهُ حَتَّى يُضِيفَ إِلَى ذٰلِكَ الكُفْرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

فَإِنْ شَكَّ أَوْ تَوَقَّفَ؛ لَمْ يَحْرُمْ مَالُهُ وَلاَ دَمُهُ. فَيا لَها مِنْ مَسْأَلَةٍ مَا أَعْظَمَهَا وَأَجَلَّهَا! وَيَا لَهُ مِنْ بَيَانٍ مَا أَوْضَحَهُ! وَحُجَّةٍ مَا أَقْطَعَهَا لِلمُنَازِعِ!

تكون عبادتها حقًّا؛ فلا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله، ولا أعبد صنمًا، بل لا بدَّ أن يقول: الأصنام التي تُعبد من دون الله أكفر بها وبعبادتها. فمثلًا لا يكفي أن يقول: لا إله إلا الله ولا أعبد اللات، ولٰكن لا بدّ أن يكفر بها ويقول: إنَّ عبادتها ليست بحق، وإلاّ؛ كان مقرًّا بالكفر.

فمن رضي دين النصارى دينًا يدينون الله به؛ فهو كافر لأنه إذا ساوى غير دين الإسلام مع الإسلام؛ فقد كذَّب قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وبهٰذا يكون كافرًا، وبهٰذا نعرف الخطر العظيم الذي أصاب المسلمين اليوم باختلاطهم مع النصارى، والنصارى يدعون إلى دينهم صباحًا ومساءً، والمسلمون لا يتحركون، بل بعض المسلمين الذين ما عرفوا الإسلام حقيقة يلينون لٰهؤلاء، ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[1]، وهٰذا من المحنة التي أصابت المسلمين الآن، وآلت بهم إلى هٰذا الذل الذي صاروا فيه.

* * *

---

(١) سورة القلم: الآية ٩.

بَابٌ
مِنَ الشِّرْكِ لُبْسُ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِرَفْعِ البَلَاءِ أَو دَفْعِهِ

.....

قوله: «**من الشرك**»: من هنا للتبعيض؛ أي: أن هٰذا بعض الشرك، وليس كل الشرك، والشرك: اسم جنس يشمل الأصغر والأكبر، ولبس هٰذه الأشياء قد يكون أصغر وقد يكون أكبر بحسب اعتقاد لابسها، وكان لبس هٰذه الأشياء من الشرك؛ لأنَّ كل من أثبت سببًا لم يجعله الله سببًا شرعيًا ولا قدريًا؛ فقد جعل نفسه شريكًا مع الله. فمثلًا: قراءة الفاتحة سبب شرعي للشفاء. وأكل المسهل سبب حسي لانطلاق البطن، وهو قدريّ؛ لأنَّه يُعلم بالتجارب.

والناس في الأسباب طرفان ووسط:

الأول: من ينكر الأسباب، وهم كل من قال بنفي حكمة الله؛ كالجبرية، والأشعرية.

الثاني: من يغلو في إثبات الأسباب حتى يجعلوا ما ليس بسبب سببًا، وهٰؤلاء هم عامة الخرافيين من الصوفية ونحوهم.

الثالث: من يؤمن بالأسباب وتأثيراتها، ولٰكنهم لا يثبتون من الأسباب إلا ما أثبته الله سبحانه ورسوله، سواء كان سببًا شرعيًا أو كونيًا.

ولا شك أنَّ هٰؤلاء هم الذين آمنوا بالله إيمانًا حقيقيًا، وآمنوا

.....

بحكمته؛ حيث ربطوا الأسباب بمسبباتها، والعلل بمعلولاتها، وهٰذا من تمام الحكمة.

ولبس الحلقة ونحوها إن اعتقد لابسها أنَّها مؤثرة بنفسها دون الله؛ فهو مشرك شركًا أكبر في توحيد الربوبية؛ لأنَّه اعتقد أنَّ مع الله خالقًا غيره.

وإن اعتقد أنها سبب، ولٰكنه ليس مؤثرًا بنفسه؛ فهو مشرك شركًا أصغر لأنَّه لما اعتقد أنَّ ما ليس بسبب سببًا؛ فقد شارك الله تعالى في الحكم لهٰذا الشيء بأنه سبب، والله تعالى لم يجعله سببًا. وطريق العلم بأنَّ الشيء سبب:

إمَّا عن طريق الشرع، وذٰلك كالعسل ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وكقراءة القرآن فيها شفاء للناس، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وإما عن طريق القدر، كما إذا جرّبنا هٰذا الشيء فوجدناه نافعًا في هٰذا الألم أو المرض، ولٰكن لا بدّ أن يكون أثره ظاهرًا مباشرًا كما لو اكتوى بالنار فبرئ بذٰلك مثلًا؛ فهٰذا سبب ظاهر بيّن، وإنَّما قلنا هٰذا لئلا يقول قائل: أنا جرّبت هٰذا وانتفعت به، وهو لم يكن مباشرًا؛ كالحلقة، فقد يلبسها إنسان وهو يعتقد أنَّها نافعة، فينتفع لأنَّ للانفعال النفسي للشيء أثرًا بيّنًا؛ فقد يقرأ إنسان على مريض فلا يرتاح له، ثم يأتي آخر يعتقد أن قراءته نافعة، فيقرأ عليه الآية نفسها فيرتاح له ويشعر بخفة الألم، كذٰلك الذين يلبسون الحِلَق ويربطون الخيوط، قد يحسون بخفة الألم أو اندفاعه أو ارتفاعه بناءً على اعتقادهم نفعها. وخفة الألم لمن اعتقد نفع تلك الحلقة مجرد شعور نفسي، والشعور النفسي ليس طريقًا شرعيًا لإثبات الأسباب، كما أن الإلهام ليس طريقًا للتشريع.

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾[1]. الآية.

قوله: «لبس الحلقة والخيط»: الحلقة: من حديد أو ذهب أو فضة أو ما أشبه ذلك، والخيط معروف.

قوله: «ونحوهما»: كالمرصّعات، وكمن يصنع شكلاً معينًا من نحاس أو غيره لدفع البلاء، أو يعلّق على نفسه شيئًا من أجزاء الحيوانات. والناس كانوا يُعلّقون القرب البالية على السيارات ونحوها لدفع العين، حتى إذا رآها الشخص نفرت نفسه فلا يَعِينُ.

قوله: «لرفع البلاء، أو دفعه»: الفرق بينهما: أن الرفع بعد نزول البلاء، والدفع قبل نزول البلاء.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لا ينكر السبب الصحيح للرفع أو الدفع، وإنّما يُنكر السبب غير الصحيح.

* * *

وقوله الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم﴾؛ أي: أخبروني، وهٰذا تفسير باللازم؛ لأنَّ من رأى أخبر، وإلاّ؛ فهي استفهام عن رؤية، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ [الماعون: ١]؛ أي: أخبرني ما حال من كذّب بالدين؟ وهي تنصب مفعولين الأول مفرد، والثاني جملة استفهامية.

وقوله: «ما»: المفعول الأول لرأيتم، والمفعول الثاني جملة: «إن أرادني الله بضر».

وقوله: ﴿تَدْعُونَ﴾: المراد بالدعاء دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ فهم

(١) سورة الزمر: الآية ٣٨.

.....

يدعون هٰذه الأصنام دعاء عبادة، فيتعبَّدون لها بالنذر والذبح والرُّكوع والسجود، ويدعونها دعاء مسألة لدفع الضرر أو جلب النفع. فالله سبحانه إذا أراد بعبده ضرًّا لا تستطيع الأصنام أن تكشفه، وإن أراده برحمة لا تستطيع أن تمسك الرحمة عنه؛ فهي لا تكشف الضر ولا تمنع النفع؛ فلماذا تعبد؟!

وقوله: ﴿كَٰشِفَٰتُ﴾: يشمل الدفع والرفع؛ فهي لا تكشف الضر بدفعه وإبعاده، ولا تكشفه برفعه وإزالته.

وقوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾: أي: كافيني، والحَسْب: الكفاية، ومنه قوله تعالى: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣٦] من الحسب، وهو الكفاية، وحسبي: مبتدأ، ولفظ الجلالة: خبر، وهٰذا أبلغ. وقيل العكس، والراجح الأوّل؛ لوجهين:

الأول: أنَّ الأصل عدم التقديم والتأخير.

الثاني: أن قولك: حسبي الله فيه حصر الحسب في الله؛ أي حسبي الله لا غيره فهو كقولك: لا حسب لي إلا الله، بخلاف قولك: الله حسبي؛ فليس فيه الحصر المذكور؛ فلا يدل على حصر الحسب في الله.

قوله: ﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾: قدّم الجار والمجرور لإفادة الحصر؛ لأنَّ تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر. والمعنى أنَّ المتوكل حقيقةً هو المتوكل على الله، أمّا الذي يتوكل على الأصنام والأولياء والأضرحة؛ فليس بمتوكل على الله تعالى. وهٰذا لا ينافي أن يوكّل الإنسان إنسانًا في شيء ويعتمد عليه؛ لأنَّ هناك فرقًا بين التوكل على الإنسان الذي يفعل لك شيئًا بأمرك، وبين توكلك على الله؛ لأنَّ توكلك

عَنْ عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ، فَقَالَ: «**مَا هٰذِهِ**»؟ قَالَ: مِنَ الواهنةِ. فَقَالَ: «**انْزِعْهَا؛ فَإِنَّها لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهَنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ؛ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**». .....

على الله اعتقادك أنَّ بيده النفع والضر، وأنك متذلِّل، معتمد عليه، مفتقر إليه، مفوض أمرك إليه.

والشاهد من هٰذه الآية: أن هٰذه الأصنام لا تنفع أصحابها لا بجلب نفع ولا بدفع ضر؛ فليست أسبابًا لذٰلك، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب شرعي أو قدري؛ فيعتبر اتخاذه سببًا إشراكًا بالله. وهٰذا يدل على حذق المؤلف رحمه الله وقوّة استنباطه، وإلاّ؛ فالآية بلا شكّ في الشرك الأكبر الذي تعبد فيه الأصنام، ولٰكن القياس واضح جدًّا؛ لأنَّ هٰذه الأصنام ليست أسبابًا تنفع، فيقاس عليها كل ما ليس بسبب، فيعتبر إشراكًا بالله.

وهناك شاهد آخر في قوله: ﴿حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾؛ فإن فيه تفويض الكفاية إلى الله دون الأسباب الوهمية، وأما الأسباب الحقيقية؛ فلا ينافي تعاطيها توكل العبد على الله تعالى وتفويض الأمر إليه؛ لأنها من عنده.

* * *

قوله: في حديث عمران: «رأى رجلًا»: لم يبين اسمه؛ لأن المهم بيان القضية وحكمها، لٰكن ورد ما يدل على أنه عمران نفسه، لٰكنه أبهم نفسه، والحلقة والصفر معروفان، وأما الواهنة؛ فوجع في الذراع أو العضد.

«ما أفلحت»: الفلاح هو النجاة من المرهوب وحصول المطلوب.

.....

هٰذا الحديث مناسب للباب مناسبة تامة؛ لأن هٰذا الرجل لبس حلقة من صفر؛ إما لدفع البلاء أو لرفعه. والظاهر أنه لرفعه؛ لقوله: «**لا تزيدك إلا وهنًا**»، والزيادة تكون مبنية على أصل.

ففي هٰذا الحديث دليل على عدة فوائد:

١ ـ أنه ينبغي لمن أراد إنكار المنكر أن يسأل أولاً عن الحال؛ لأنه قد يظن ما ليس بمنكر منكرًا، ودليله أن الرسول ﷺ قال: «**ما هٰذه**». والاستفهام هنا للاستعلام فيما يظهر وليس للإنكار، وقول الرجل: «**مِن الواهنة**»: مِن للسببية؛ أي: لبستها بسبب الواهنة، وهي مرض يوهن الإنسان ويضعفه، قد يكون في الجسم كله وقد يكون في بعض الأعضاء كما سبق.

٢ ـ وجوب إزالة المنكر؛ لقوله: «**انزعها**»، فأمره بنزعها؛ لأن لبسها منكر، وأيد ذٰلك بقوله: «**إنها لا تزيدك إلا وهنًا**»؛ أي: وهنًا في النفس لا في الجسم، وربما تزيده وهنًا في الجسم، أما وهن النفس؛ فلأن الإنسان إذا تعلقت نفسه بهٰذه الأمور ضعفت واعتمدت عليها ونسيت الاعتماد على الله ـ عز وجل ـ، والانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان؛ فأحيانًا يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحيانًا يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحًا؛ فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ، ولهٰذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتى يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا؛ فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة. فهٰذا الذي لبس الحلقة من الواهنة لا تزيده إلا وهنًا؛ لأنَّه سوف يعتقد أنها ما دامت عليه فهو سالم، فإذا نزعها عاد إليه الوهن، وهٰذا بلا شك ضعف في النفس.

رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ لاَ بأْسَ بِهِ[١].

وَلَهُ عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ مَرْفُوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ،** .....

---

٣ ـ أن الأسباب التي لا أثر لها بمقتضى الشرع أو العادة أو التجربة لا ينتفع بها الإنسان.

٤ ـ أن لبس الحلقة وشبهها لدفع البلاء أو رفعه من الشرك؛ لقوله: «**لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»، وانتفاء الفلاح دليل على الخيبة والخسران.

ولٰكن هل هٰذا شرك أكبر أو أصغر؟ سبق لنا عند الترجمة أنه يختلف بحسب اعتقاد صاحبه.

٥ ـ أن الأعمال بالخواتيم؛ لقوله: «**لو مت وهي عليك**»؛ فعرف أنه لو أقلع عنها قبل الموت لم تضره لأن الإنسان إذا تاب قبل أن يموت صار كمن لا ذنب له.

قوله: «من تعلق تميمة»: أي: علق بها قلبه واعتمد عليها في جلب النفع ودفع الضرر، والتميمة شيء يعلق على الأولاد من خرز أو غيره يتقون به العين.

وقوله: «فلا أتم الله له»: الجملة خبرية بمعنى الدعاء، ويحتمل أن

---

(١) رواه: أحمد (٤/ ٤٤٥) ـ واللفظ له ـ، وابن ماجه (كتاب الطب، باب تعليق التمائم، ٢/ ١١٦٧)، وليس فيه: «فإنك لو مت...» إلخ.
وفي «الزوائد»: «إسناده حسن؛ لأن مبارك هٰذا هو ابن فضالة».
ورواه: ابن حبان أيضًا برقم (١٤١٠) بلفظ: «إنك إن تمت وهي عليك وكلت إليها».
ومن طريق أبي عامر الخراز عن الحسن عن عمران بنحوه، رواه: ابن حبان برقم (١٤١١)، والحاكم (٤/ ٢١٦). وصححه ووافقه الذهبي.

وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً؛ فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»[١].

وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ**»[٢].

وَلابْنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ حُذَيْفَةَ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ خَيْطٌ

تكون خبرية محضة، وكلا الاحتمالين دال على أن التميمة محرَّمة، سواء نفى الرسول ﷺ أن يتم الله له أو دعا بأن لا يتم الله له؛ فإن كان الرسول ﷺ أراد به الخبر؛ فإننا نخبر بما أخبر به النبي ﷺ، وإلاّ؛ فإننا ندعو بما دعا به الرسول ﷺ. ومثل ذلك قوله ﷺ: «**ومن تعلَّق ودعةً؛ فلا ودعَ الله له**»: والودعة: واحدة الودع، وهي أحجار تؤخذ من البحر يعلّقونها لدفع العين، ويزعمون أنَّ الإنسان إذا علّق هٰذه الودعة لم تصبه العين، أو لا يصيبه الجن.

قوله: «لا ودع الله له»: أي: لا تركه الله في دعة وسكون، وضد الدعة والسكون القلق والألم. وقيل: لا ترك الله له خيرًا؛ فعومل بنقيض قصده.

وقوله: «فقد أشرك»: هٰذا الشرك يكون أكبر إن اعتقد أنها ترفع أو تدفع بذاتها دون أمر الله، وإلا؛ فهو أصغر.

---

(١) رواه: أحمد في «المسند» (٤/ ١٥٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٢٥)، والحاكم (٤/ ٢١٦).
وصححه ووافقه الذهبي.
وفيه: خالد بن عبيد المعافري، لم يوثقه غير ابن حبان؛ كما في «التعجيل» (ص١١٤)، وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٣٠٦): «إسناده جيد»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٣): «رجاله ثقات»، وقال الحافظ في «التعجيل» (ص١١٤): «ورجاله موثقون».

(٢) رواه: أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩، كتاب الطب).
وقال المنذري في « الترغيب» (٤/ ٣٠٧) والهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٣): «ورواة أحمد ثقات».

مِنَ الحُمَّى، فَقَطَعَهُ، وَتَلا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾(١).

● فيهِ مَسائِلُ:

الأولى: التَّغْلِيظُ فِي لُبْسِ الحَلْقَةِ وَالخَيْطِ وَنَحْوِهِمَا لِمِثْلِ ذٰلِكَ.

قوله: «من الحُمَّى»: «من» هنا للسببية؛ أي: في يده خيط لبسه من أجل الحُمَّى لتبرد عليه أو يشفى منها.

قوله: «فقطعه»: أي: قطع الخيط، وفعله هٰذا من تغيير المنكر باليد، وهٰذا يدل على غيرة السلف الصالح وقوتهم في تغيير المنكر باليد وغيرها.

وقوله: وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: أي وتلا حذيفة هذه الآية والمراد بها المشركون الذين يؤمنون بتوحيد الربوبية ويكفرون بتوحيد الألوهية.

وقوله: ﴿وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في محل نصب على الحال من أكثر؛ أي: وهم متلبسون بالشرك، وكلام حذيفة في رجل مسلم لبس خيطًا لتبريد الحمى أو الشفاء منها وفيه دليل على أن الإنسان قد يجتمع فيه إيمان وشرك، ولٰكن ليس الشرك الأكبر؛ لأن الشرك الأكبر لا يجتمع مع الإيمان، ولٰكن المراد هنا الشرك الأصغر، وهٰذا أمرٌ معلوم.

* * *

قوله: «فيه مسائل»: أي: في هٰذا الباب مسائل:

● **الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذٰلك:**

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٦.

وفي «النهج السديد» (ص٥٧): «ضعيف، رواه ابن أبي حاتم، وقد أورد سنده في «تيسير العزيز الحميد» من طريق عروة بن الزبير عن حذيفة، ولا يعرف لعروة سماع من حذيفة».

الثانية: أَنَّ الصَّحَابِيَّ لَوْ مَاتَ وَهِيَ عَلَيْهِ؛ مَا أَفْلَحَ. فِيهِ شَاهِدٌ لِكَلَامِ الصَّحَابَةِ: أَنَّ الشِّرْكَ الأَصْغَرَ أَكْبَرُ مِنَ الكَبَائِرِ.

الثالثة: أَنَّهُ لَمْ يُعْذَرْ بِالجَهَالَةِ.

لقوله ﷺ: «**انزعها ـ لا تزيدك إلا وهنًا ـ، لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»، وهٰذا تغليظ عظيم في لبس هٰذه الأشياء والتعلق بها.

● **الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح**: هٰذا وهو صحابي؛ فكيف بمن دون الصحابي؟! فهو أبعد عن الفلاح.

قال المؤلف: «**فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر**».

قوله: «لكلام الصحابة»؛ أي: لقولهم، وهو كذٰلك؛ فالشرك الأصغر أكبر من الكبائر، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إليَّ من أن أحلف بغيره صادقًا»[1]، وذٰلك لأن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكبيرة؛ لأن الشرك لا يغفر ولو كان أصغر، بخلاف الكبائر؛ فإنها تحت المشيئة.

● **الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة**: هٰذا فيه نظر؛ لأن قوله ﷺ: «**لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**» ليس بصريح أنه لو مات قبل العلم، بل ظاهره: «**لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»؛ أي: بعد أن علمت وأمرت بنزعها. وهٰذه المسألة تحتاج إلى تفصيل؛ فنقول: الجهل نوعان:

جهل يعذر فيه الإنسان، وجهل لا يعذر فيه، فما كان ناشئًا عن

---

(١) رواه: عبد الرزاق في «المصنف» (٨/ ٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» برقم (٨٩٠٢). قال المنذري في «الترغيب» (٣/ ٦٠٧) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٧): «رواته رواة الصحيح».

الرابعة: أَنَّهَا لاَ تَنْفَعُ فِي العَاجِلَةِ؛ بلْ تَضُرُّ، لِقَوْلِهِ: «لاَ تَزِيْدُكَ إِلاَّ وَهَنًا».

تفريط وإهمال مع قيام المقتضي للتعلم؛ فإنه لا يعذر فيه، سواء في الكفر أو في المعاصي، وما كان ناشئًا عن خلاف ذٰلك، أي أنه لم يهمل ولم يفرط ولم يقم المقتضي للتعلم بأن كان لم يطرأ على باله أن هٰذا الشيء حرام؛ فإنه يعذر فيه، فإن كان منتسبًا إلى الإسلام؛ لم يضره، وإن كان منتسبًا إلى الكفر؛ فهو كافر في الدنيا، لٰكن في الآخرة أمره إلى الله على القول الراجح، يمتحن؛ فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار. فعلى هٰذا من نشأ ببادية بعيدة ليس عنده علماء ولم يخطر بباله أن هٰذا الشيء حرام، أو أن هٰذا الشيء واجب؛ فهٰذا يعذر، وله أمثلة:

منها: رجل بلغ وهو صغير وهو في بادية ليس عنده عالم، ولم يسمع عن العلم شيئًا، ويظن أن الإنسان لا تجب عليه العبادات إلا إذا بلغ خمس عشرة سنة، فبقي بعد بلوغه حتى تم له خمس عشرة سنة وهو لا يصوم ولا يصلي ولا يتطهر من جنابة؛ فهٰذا لا نأمره بالقضاء لأنه معذور بجهله الذي لم يفرط فيه بالتعلم ولم يطرأ له على بال، وكذٰلك لو كانت أنثى أتاها الحيض وهي صغيرة وليس عندها من تسأل ولم يطرأ على بالها أن هٰذا الشيء واجب إلا إذا تم لها خمس عشرة سنة؛ فإنها تعذر إذا كانت لا تصوم ولا تصلي. وأما من كان بالعكس كالساكن في المدن يستطيع أن يسأل، لٰكن عنده تهاون وغفلة؛ فهٰذا لا يعذر؛ لأن الغالب في المدن أن هٰذه الأحكام لا تخفى عليه، ويوجد فيها علماء يستطيع أن يسألهم بكل سهولة؛ فهو مفرط، فيلزمه القضاء ولا يعذر بالجهل.

● **الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة، بل تضر؛ لقوله: «لا تزيدك إلا وهنًا»**: والمؤلف استنبط المسألة وأتى بوجه استنباطها.

الخامسة: الإِنْكَارُ بِالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ فَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ.

السادسة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وُكِلَ إِلَيهِ.

السابعة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً؛ فَقَدْ أَشْرَكَ.

الثامنة: أَنَّ تَعْلِيقَ الخَيْطِ مِنَ الحُمَّى مِنْ ذٰلكَ.

● **الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذٰلك**: أي: ينبغي أن ينكر إنكارًا مغلظًا على من فعل مثل هٰذا، ووجه ذٰلك سياق الحديث الذي أشار إليه المؤلف، وأيضًا قوله: «**من تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له**».

● **السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئًا وكل إليه**: تؤخذ من قوله: «**من تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له**» إذا جعلنا الجملة خبرية، وأن من تعلق تميمة؛ فإن الله لا يتم له، فيكون موكولاً إلى هٰذه التميمة، ومن وكل إلى مخلوق؛ فقد خُذلَ، ولٰكنها في الباب الذي بعده صريحة، «**من تعلق شيئًا وكل إليه**»[1].

● **السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة؛ فقد أشرك**: وهو إحدى الروايتين في حديث عقبة بن عامر.

● **الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذٰلك**: يؤخذ من فعل حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾.

---

(١) سيأتي تخريجه ص (١٨٣).

التاسعة: تِلَاوَةُ حُذَيفَةَ الآيَةَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ يَسْتَدِلُونَ بالآياتِ الَّتِي فِي الشِّرْكِ الأَكْبَرِ عَلَى الأَصْغَرِ؛ كَمَا ذَكَرَ ابنُ عَبَّاسٍ في آيَةِ البَقَرَةِ.

العاشرة: أَنَّ تَعْلِيقَ الوَدَعِ مِنَ العَيْنِ مِنْ ذٰلِكَ.

الحادية عشرة: الدُّعَاءُ عَلَى مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً أَنَّ اللَّهَ لا يُتِمُّ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ؛ أَيْ: تَرَكَ اللَّهُ لَهُ.

● **التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة:** أي أن قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ في الشرك الأكبر، لٰكنهم يستدلون بالآيات الواردة في الشرك الأكبر على الأصغر؛ لأن الأصغر شرك في الحقيقة وإن كان لا يخرج من الملة، ولهٰذا نقول: الشرك نوعان: أصغر وأكبر.

وقوله: «كما ذكر ابن عباس في آية البقرة»: وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ . . .﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية؛ فجعل المحبة التي تكون كمحبة الله من اتخاذ الند لله ـ عز وجل ـ.

● **العاشرة: أن تعليق الودع من العين من ذٰلك:** وقوله: «**من ذٰلك**»؛ أي: من تعليق التمائم الشركية؛ لأنه لا أثر لها ثابت شرعًا ولا قدرًا.

● **الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة؛ فلا ودع الله له؛ أي: ترك الله له:** تؤخذ من دعاء النبي ﷺ على هٰؤلاء الذين اتخذوا تمائم وودعًا، وليس هٰذا بغريب أن

.....

نؤمر بالدعاء على من خالف وعصى؛ فقد قال النبي ﷺ: «**إذا سمعتم من ينشد الضالة في المسجد؛ فقولوا: لا ردها الله عليك**»[(١)]، «**وإذا سمعتم من يبيع أو يبتاع في المسجد؛ فقولوا: لا أربح الله تجارتك**»[(٢)].

فهنا أيضًا تقول له: لا أتم الله لك، ولٰكن الحديث إنما قاله الرسول ﷺ على سبيلَ العموم؛ فلا نخاطب هٰذا بالتصريح ونقول لشخص رأينا عليه تميمة: لا أتم الله لك، وذٰلك لأن مخاطبتنا الفاعل بالتصريح والتعيين سوف يكون سببًا لنفوره، ولٰكن نقول: دع التمائم أو الودع؛ فإن النبي ﷺ يقول: «**من تعلق تميمة؛ فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة؛ فلا ودع الله له**».

* * *

(١) أخرجه: مسلم في (المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد، ١/ ٣٩٧).

(٢) أخرجه: الترمذي في (البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، ٢/ ٢٧٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٧٦)، والدارمي (١٤٠٨)، وابن حبان (٣١٣ ـ موارد)، والحاكم (٢/ ٥٦)، والبيهقي (٢/ ٤٤٧).

وحسنه الترمذي، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.